تطهير الجنان والأركان

عن

درن الشرك والكفران

تأليف

أحمد بن حجر آل بوطامي

الشافعي السلفي

مكتبة العلم

[illegible]

ت ٣٦٠٩٨٣٩

مكتبة العلم

[illegible] ت : ٣٩٠٩٨٣٩

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد

فإنه مما يسر مكتبة العلم أن تنشر هذا الكتيب المفيد فهو على صغر حجمه قد جمع للمسلم أهم مايجب عليه أن يعرفه من أمور التوحيد والعبادة الحقه لله ـ سبحانه وتعالى ـ ورَدٌ على أشهر شبهات القبوريين والمبتدعة من الصوفية ومن على شاكلتهم مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة .

ولمزيد من إفادة القارىء رأيت أن أذكر درجة الأحاديث التى فى غير الصحيحين حتى يعلم القارىء الصحيح من الضعيف وكما يقول أهل العلم دائما « إن فى الصحيح لغنية عن الضعيف » معتمداً فى ذلك على تحقيقات محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى حفظه الله .

وحيث لم أجد ـ فيما بحثت عن ـ تحقيق حديث « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » فى كتب الشيخ الألبانى المطبوعة سألت عنه شيخنا عطاء بن عبد اللطيف حفظه الله فأفادنى بمجمل التخريج المذكور فى ص (٣٦) .

وأما إذا كان الحديث فى الصحيحين « البخارى ومسلم » أو أحدهما فأكتفى بالعزو إليهما فإنه مُعْلِم بالصحة ورأيت أن اختصر فى التعليق مما يتناسب مع صغر حجم الكتاب . ولقد وضعت العلامة (*) على تعليقاتى تمييزا لها عن تعليقات المؤلف حفظه الله .

ولقد حاولت ـ بقدر جهدى ـ أن يخرج الكتاب فى أحسن صورة رجاء المثوبة من الله وأن نيسر على المسلمين الإستفادة منه لعل الله أن يهدى به بعض عباده وأن يدخر لنا أجره ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وأسأل الله أن يرزقنى إصلاح النية إنه سميع مجيب وصلى اللهم على نبينا محمد وآله وسلم .

القاهرة فى جمادى الأولى ١٤١١ هـ

الموافق ديسمبر ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة العاشرة

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] والصلاة والسلام على أفضل داعٍ إلى التوحيد سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فلا يخفى أن علم التوحيد هو أفضل العلوم على الإطلاق ، إذ هو الذى من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأنه خلاصة دعوة الأنبياء وزبدة رسالة المرسلين .

هذا وقد كنت كتبت ـ فيما سلف ـ رسالة وجيزة وسميتها « تطهير الجنان عن درن الشرك والكفران » وهى على صغر حجمها قد حوت أنواع التوحيد الثلاثة ، وبرهنت بالأدلة النقلية والعقلية على تأييد محتوياتها ، كما احتوت على دحض الشبهات التى يوردها المبتدعون ، وقد طبعت ولله الحمد مرات عديدة فى قطر وفى الكويت وفى مصر ، وحصل عليها ولله الحمد إقبال من القرّاء ، ولما نفدت الطبعات السابقة رغب فضيلة

الشيخ عبد الله الأنصارى فى إعادة طبعها ، وهو من أكبر الدعاة إلى دين الله وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم ، وقد كثّف جهوده ـ جزاه الله خيراً ـ على نشر العلم بمختلف طرقه من إرشاد ووعظ وتأليف ونشر الكتب العلمية من مختلف العلوم وتوزيعها على المستحقين وإرسالها إلى كثير من الأمصار لأهل العلم والكليات والجامعات والمدارس ، فله فى هذا المجال الباع الطويل ، وذلك يرجع الفضل أولاً ، لله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم إلى سمو أمير البلاد ـ حفظه الله ـ الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، فإنه يبذل فى هذا السبيل الأموال الطائلة .

فوافقت على هذا المرام لنفع الخاص والعام ، راجياً المثوبة من رب العالمين فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وما زدت فيها على الطبعات السابقة إلا فى موضعين :

الأول : نواقض الإسلام بعد أن ذكرت شروط لا إله إلا الله .

الثانى : تعليق على حياة الأنبياء والشهداء وتفنيد شبه المحتجين على سماع الأموات وتصرفاتهم بعد الممات .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المؤلف

١٤٠٢/١١/١٢ هـ أحمد بن حجر آل بوطامى آل بن على

قاضى المحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى أمرنا بالعبادة ، وبطاعته وطاعة رسوله ، ووعدنا بالحسنى مع الزيادة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، البالغ منتهى الشرف والسيادة ، وعلى آله وأصحابه الذين منحهم الله العزة والسعادة .

أما بعد :

فلا زال الإسلام منذ أنْ طلع فجره محارباً . حورب من قريش وسائر مشركى العرب ، ومن اليهود والفرس والروم والتتر والصليبيين ، وكتب الله النصر المؤزّر للإسلام والمسلمين ، وأذل الله المشركين والكافرين . ولكن الأعداء – وإن خذلهم الله – مافتئوا يحيكون المؤامرات والدسائس ويبثون دعاياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين . فتعددت مقالاتهم ، وتنوعت مذاهبهم ، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام ، لأجل أن تروج عقائدهم ويتم لهم القضاء على الإسلام – لاسمح الله – ومن أشدها فتكاً ، وأخبثها دعاية ، وأكثرها رواجا ، دعاية المخرفين والقبوريين والصوفية المبطلين[1] الذين لم يدخروا وسعاً

---

(١) لا المحققين . لأن الصوفية قسمان : قسم محقون : وهم الذين تقيدوا بالكتاب والسنة ، ولم يتجاوزوهما ، وكل مآل الأمر أنهم غلبوا جانب الآخرة على الدنيا ، كالجيلانى والجنيد وسهل التسترى وأمثالهم . –

فى نشر البدع والضلالات باسم الدين ، والدين منها برىءٌ . كما دعوا إلى عبادة القبور وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب ، من بناء القباب الشاهقة عليهم وتزويقها ، ووضع الستور النفيسة عليها ، لجذب الناظرين والزائرين إليها ، وأن تكون تلك القباب محل الدهشة والإعجاب . وجعلوا السدنة حولها ليطوفوا بالزائرين حول الضرائح ويعلموهم كيف يدعون الأولياء ، وينزلون بهم حاجاتهم .

ومن إختراع حكايات سمجة عن القبور ، وكرامات مختلقة لاتمت إلى الصحة بنصيب . ومن إنشاء قصائد تطفح بالاستغاثات والنداءات التى لاتصلح إلا لخالق الأرض والسموات .

ومن تأليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين سبكت فى قالب حب الأنبياء والأولياء ، وأنهم هم الشفعاء لنا عند الله ، والواسطة بيننا وبينه تعالى . ويعززون كلامهم بحكايات عن الصالحين ليس لها حظ من الصدق وبأحاديث موضوعة

= وصوفية مبطلون : وهم الذين يخالفون الكتاب والسنه ، ويتعدون حدودهما ويأتون بعقائد ماأنزل الله بها من سلطان ، وبأعمال مخترعة يبرأ الكتاب والسنة المطهرة منها ، كاعتقادهم بوحدة الوجود ، واختراعهم أذكاراً واحتفالات يمتزج فيها الذكر بالرقص ، ويختلط فيها الرجال والنساء ، ويدق فيها الطبول وتنشر فيها الأعلام ، ويأتون بمخاريق كضرب أنفسهم بالسكين والخنجر وأكل النار . اللهم اهد عبادك إلى الصراط المستقيم .

كحديث(*) : « لَو اعْتَقَدْتُمْ بِحَجَرٍ لَنفَعَكُمْ »(١) وبأقيسة فاسدة .

وبما لا يدل على مطلبهم من آية أو حديث صحيح كما سترى فى هذه الرسالة .

وعم هذا الداءُ الوبيل سائر الأقطار الإسلامية ، ولم يسلم منه إلا القليل من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين الذين عرفوا التوحيد الذى جاء به الأنبياء والمرسلون .

وبعض الأقطار الإسلامية كالمملكة العربية السعودية ، بفضل دعوة علمائها المخلصين وملوكها المهتدين . فنتج من جرّاء تلك الدعايات الضالة المضللة التى قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال وعبادة غير ذى الجلال . أن انخدع بها الأكثرون ، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم خالق الأنام ، وتحمسوا لها ، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين . وتجاوز الأمر حتى تقربوا إلى الأشجار والغيران المنسوبة إليهم بأنواع النذور ، ودعائهم لكشف ضر نزل بهم ، أو طلب ولد أو رزق أو وظيفة

(*) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : لا أصل له ، وقال ابن تيمية : كذب وقال ابن القيم : هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار .

(١) هذا الحديث صريح فى الوثنية المحضة ، ينادى على قائله بأنه من أشد أعداء الإسلام ، ومن الدعاة إلى عبادة الأحجار والأوثان والأصنام .

فكيف يروج مثل هذا الحديث على أناس يزعمون أنهم من العلماء .

أو مطر ، مما ليس فى قدرة أحد إلا رب العالمين ، وطافوا بقبورهم كما يطاف بالكعبة المعظمة ، وشدوا الرحال إليهم من الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية ، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم حتى أنه قد تجتمع فى خزائن بعض المقبورين أموال تعد بالملايين .

ورحم الله شاعر النيل « حافظ إبراهيم » حيث قال :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة
قامت على أعتابها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها
بحر النذور وتُقرَأُ الآيات
ويقال هذا الباب باب المصطفى
ووسيلة تُقضَى بها الحاجات

وإنك لتجد الزحام حول تلك القبور واختلاط الرجال بالنساء وبكاء الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودوىَّ أدعيتهم .

كما تجد كثيراً من مدعى العلم ومروجى الضلال يُحَسِّنون لهم تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نيل الحطام ، ويأتى أولئك الجهال هذه الشركيات والبدع والضلال ، باعتقاد أنها من صميم الدين ، وأنها تقرّبهم إلى رب

العالمين ، لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء الضلال ، وسدنة الضرائح . والويل كل الويل لمن أنكر عليهم وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيء ، بل تنافيه ، والدين منها برىء ، وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه العبادات التي تتقربون بها إلى هؤلاء الأموات ، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً فضلا عن غيرهم .

والعلماء إزاء هذه البدع والشركيات أصناف ثلاثة :

ـ صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر فى تأييد مذهبه ، لاسيما إذا كانت له مصلحة مادية .

ـ وصنف يعرف الحق ، وأن ماعليه جمهور الناس باطل وضلال ، لكنه يساير العامة وأشباههم ، إما رجاء ، وإما رهبة أو جبناً ! ..

ـ وصنف يُنكر ذلك ويدعو الناس إلى ترك تلك المحدثات ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالسنة المطهرة وهؤلاء قليلون بالنسبة لذينك الصنفين .

وبالرغم من كثرة المؤلفات فى هذا العصر[1] ، من الممالك

---

(١) كَتَبَ علماء الدعوة النجدية رسائل عديدة فى بيان التوحيد والشرك . كما كتب الشيخ الصنعانى ، والشيخ صديق حسن خان ونفع الله بها ، ولكن لم أجدها بالنحو الذى رأيته وكتبته .

العربية وغيرها ، وتنور أذهان الكثيرين ، لكنهم لم يهتموا بعلم التوحيد ، لاسيما توحيد الألوهية . وقد يذكر بعضهم فى ثنايا كتابه سطراً أو سطوراً يستهجن هذه الأعمال ويقول : ليست من الإسلام فى شيء ، ولكن هذا غير كاف . ولذا رأيت أن الحاجة ماسة فى وضع رسالة فى بيان أقسام التوحيد ، وبسط الكلام على توحيد الألوهية ، معززاً بالأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم الصحيحة أو الحسنة ، ودفع شبّه المبتدعة ، لعل الله ينفع بها عباده .

ولكن لكثرة الشواغل لم يقو العزم حتى شرفنا الشيخ عبد الحميد البكرى السيلانى ، الداعية لتوحيد الله وإفراده بالعبادة ، والتمسك بسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، والمحارب للبدع والمحدثات ، والزيادة فى دين الإسلام .

وقد ذكر لنا الأخ المذكور أنه يلاقى كثيراً من العناء والنصب فى سيلان من الذين يدعوهم إلى نبذ الخرافات والبدع ، وعبادة غير الله ، وطلب منى أن أُسجل له كلمة فى التوحيد ، فسجلت له بالمسجل الذى معه .

فلما انتهيت من الإلقاء ، قال الشيخ عبد الحميد ، يحسن أن تكتب هذا الذى ألقيته ، ليكون كرسالة ، ثم تطبعها وتنشرها ، وعلىّ بحول الله وقوته أن أُترجمها إلى اللغة السيلانية والمليبارية .

وقد ترجمها إلى المليبارية اخونا الفاضل محمد سليم ميران المليبارى وطبعت .

فأجابته إلى ذلك ، رجاء الثواب من الملك العلّام ، والنفع لسائر الأنام . فكتبت الموضوع وراجعته وهذّبتُهُ ، وزدت عليه بعض الفوائد ، وعلقت عليه تعاليق موجزة ، وأصبح رسالة مفيدة ، حاوية لأقسام التوحيد ، مؤيدة بالأدلة من القرآن والسنة والأحاديث النبوية ، ودفع الشبهات البدعية ، وسميتها : **« تطهير الجنان والأركان ، عن درن الشرك والكفران »** .

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وموجباً للفوز بجنات النعيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أحمد بن حجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

أى لآمرهم أن يعبدونى ويفردونى بالعبادة . وهذا هو التوحيد(١) الذى جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ﷺ .

أقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

١ ـ توحيد الربوبية

وهو اعتقاد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خالق العباد ورازقهم ، محييهم ومميتهم .

---

(١) التوحيد : مصدر وحد يوحد . وهو لغة العلم بأن الشيء واحد واصطلاحاً : علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ، مكتسب من أدلتها النقلية والعقلية . وشرعاً : إفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

أو نقول : إفراد الله بأفعاله ، مثل اعتقاد أنه خالق ورازق .

وهذا قد أقرّ به المشركون السالفون ، وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس .

ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف ، والشيوعية فى زماننا .

الدليل على توحيد الربوبية :

يقال لهؤلاء الجهلاء المنكرين للرب الكريم : أنه لا يقبل ذو عقل أن يكون أثر بلا مؤثر ، وفعل بلا فاعل ، وخلق بلا خالق .

ومما لا خلاف فيه أنك إذا رأيت إبرة ، أيقنت أن لها صانعاً ، فكيف بهذا الكون العظيم الذى يبهر العقول ، ويحير الألباب قد وجد بلا موجد ؟! ونظم بلا منظم ، وكان كل مافيه من نجوم وغيوم ، وبروق ورعود ، وقفار وبحار ، وليل ونهار ، وظلمات وأنوار ، وأشجار وأزهار ، وجن وإنس ، ومَلَك وحيوان ، إلى أنواع لا يحصيها العد ، ولا يأتى عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم !

اللهم لا يقول هذا من كان عنده مسكة من عقل ، أو ذرة من فهم .

وبالجملة : فالبراهين على ربوبيته لا يأتى عليها العد ، وصدق الله ، إذ قال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟ ﴾[1] [الطور : ٣٥]

---

(١) تعليق :

وهم بداهة لم يخلقوا من غير شيء ، وطبعاً لم يخلقوا أنفسهم . ولم يدعى أحد منهم ولا ممن قبلهم أو بعدهم أنه خالق السموات والأرض . فمن الخالق إذن ! .

وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد ، لا يملك الإنسان إذا ترك نفسه إلا أن يجيب كإجابة المشركين ، كما أخبر الله عنهم فى كتابه المجيد :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ .

أما الدهريون والشيوعيون ، ومن تلطخ بأرجاس تعاليمهم ، فإنهم يعتقدون أن وجود الإنسان والكون ومافيه ، جاء من الطبيعة ، فهى الخالقة ! .

مع العلم أن الطبيعة التى يؤلهونها هى هذه المخلوقات بما أودع الله فيها من خصائص وصفات ، كالسماء والأرض والشمس والكواكب والبحار والأشجار .. إلخ .

فالطبيعة كما ترى لا حياة لها ولا علم ولا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا عقل . فكيف أوجدت الإنسان وهو المتصف بهذه الصفات ! .

وهل يعقل أن تهب الطبيعة هذه الصفات للإنسان الذى بفضل تلك الصفات غاص أعماق البحار ، وغزا الفضاء والكواكب ، والحال أنها مجردة من كل تلك الصفات .

ومن المسلَّم عقلا أن فاقد الشيء لا يعطيه . فهؤلاء من سخافتهم وجهلهم وعنادهم لأهل الأديان ، جحدوا ربوبية خالق الكائنات المتصف بكل صفات –

وقوله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

الدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

= الكمال والمنزه عن كل نقص وذهبوا إلى خالقية الطبيعة الصماء التى لا تحس ولا تعقل .

وأعتقد أن هؤلاء إنكارهم للخالق لا يتجاوز اللسان ، ولكن عناداً لأهل الأديان وليتسنى لهم استعباد الشعوب ، وسلب الإيمان منهم والأموال ، بيث هذا الكفر الصريح والإباحية الفاضحة ، والشيوعية فى الأموال والأعراض .

ومما يوضح بطلان معتقدهم ورأيهم أن يقال : إن الطبيعة قد سخرت للإنسان ، فأصبح سيداً على مالى الأرض ، يبنى ويهدم ويتصرّف بأجزائها كيف شاء . وهى لا تقاوم سيطرته ولا تتمرد عليه ، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ، فكيف تكون خالقة . فأدنى صانع من البشر الذى يصنع الإبره الحقيرة ـ فضلاً عن الأشياء العظيمة ـ لابد أن يتصف بالحياة قبل كل شىء ، ثم بالعقل والعلم والقدرة والإرادة ، حتى يتسنى له صنع مايريده . فلو حاول جاهل مع اتصافه بالحياة والعقل والإرادة أن يصنع شيئا لما استطاع ، لكونه غير عالم .

فكيف بالطبيعة التى ليس لها من تلك الصفات شىء . وصدق الله العظيم : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ .

يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس : ٣١ ، ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ١٠] .

على أن الشرك مأخوذ من الشركة ، يفيد إقرارهم بالربوبية إلا أنهم يجعلون معه شريكاً فى العبادة ، كشريكين فى شىء – مثلا – مع أنهم ما كانوا يساوون آلهتهم بالله فى كل شىء .. بل فى المحبة والخضوع ، لا فى الخلق والإيجاد والنفع والضر .

توحيد الربوبية لايدخل الإنسان فى دين الإسلام

لتعلم أيها القارىء الكريم ، أن هذا التوحيد لا يُدْخِل الإنسان فى دين الإسلام ، ولا يعصم دمه وماله ، ولا ينجيه فى الآخرة من النار ، إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية .

توحيد الألوهية :

ويقال له توحيد العبادة ، وهو إفراد الله بالعبادة ، لأنه المستحق لأن يعبد ، لا سواه ، مهما سمت درجته وعلت منزلته .

وهو التوحيد الذى جاءت به الرسل إلى أممهم . لأن الرسل ـ عليهم السلام ـ جاؤوا بتقرير توحيد الربوبية الذى كانت أممهم تعتقده ، ودعوتهم إلى توحيد الألوهية ، كما أخبر الله عنهم فى كتابه المجيد .

قال الله مخبراً عن نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال عن هود : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾ [هود : ٥٠] .

وقال عن صالح : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٦١] .

وقال الله عن شعيب : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٨٤] .

وقال الله مخبرا عن موسى ـ عليه السلام ـ فى محاجته مع

فرعون : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ إلى آخر الآيات . [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤] .

وقال الله مخبراً عن موسى ، أنه قال لبنى إسرائيل : ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٠] .

وقال عن عيسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَـٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

وأمر الله نبيه محمداً أن يقول لأهل الكتاب : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً . وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وقال الله تعالى ، منادياً جميع البشر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

وبالجملة : فالرسل كلهم بعثوا لتوحيد الألوهية ودعوة القوم إلى أفراد الله بالعبادة ، واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] [النحل : ٣٦] .

فقد سمعت دعوة كل رسول لقومه ، فكان أول مايقرع أسماع قومه : ﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٥٠] .

---

(١) والطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، ويطلق على الشيطان والكهان وكل ماعبد من دون الله .

وقد حده العلامة ابن القيم حداً جامعاً ، فقال : « الطاغوت كل ماتجاوز به العبد حده ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله » .

فإذا تأملت هذا التعريف ، عرفت أن حكم القانون من الطاغوت ، وأن الحاكم القانونى طاغوت . لأنه يحكم بتشريع وضعى لايستند إلى القرآن والسنة ولا إجماع الأمة .

وقد ذكر الله فى عدة آى من القرآن : أن الحكم لله ، وأن مرد النزاع إلى الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [يوسف : ٤٠] وقال : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : ٥٠] وقال : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] وقال : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] وآية : ﴿ هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] وآية : ﴿ هم الفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٧] .

تفسير العبادة

العبادة فى اللغة معناها : التذلل والخضوع ، يقال : طريق معبد أى مذلل(١) .

وفى الشرع ، معنى العبادة ـ كما قال شيخ الإسلام هى : طاعة الله ، بامتثال ماأمر الله به على ألسنة الرسل .

وقال أيضا : العبادة إسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . ا هـ .

---

(١) لابد لها من ركنين أساسيين . الأول : نهاية الخضوع والذل ، والثانى : غاية المحبة .

قال شيخ الإسلام(*) ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر العبادة بمعنى الذل مانصه :

« لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب . فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له » .

قال : « ومن خضع لإنسان مع بغضه له لايكون عابداً له ، ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله . وما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل . قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ ا هـ . من العبودية .

* يقصد بشيخ الإسلام : الإمام ابن تيمية رحمه الله .

فعلى المسلم أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصاً لله فيها ، وأن يأتى بها على الوجه الذى سنّه رسول الله قولاً أو عملاً .

شمول العبادة للأنواع الآتية

واعلم أن العبادة تشمل الصلاة ، والطواف ، والحج ، والصوم ، والنذر ، والإعتكاف ، والذبح ، والسجود ، والركوع ، والخوف ، والرهبة ، والرغبة ، والخشية ، والتوكل ، والإستغاثة ، والرجاء ، إلى غير ذلك من أنوع العبادات التى شرعها الله فى قرآنه المجيد ، أو شرعها رسول الله بالسنة الصحيحة القولية أو العملية .

فمن صرف شيئاً منها لغير الله يكون مشركاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ . إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] .

فأحد جاءت نكرة فى سياق النهى ، تعم كل مخلوق ، رسولاً كان أو ملكاً أو صالحاً .

أول حدوث الشرك :

إذا ثبت هذا ، فاعلم أن أول ماحدث الشرك فى قوم نوح ، ولما أرسل الله إليهم نوحاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام ، عاندوا وأصروا على شركهم ، وقابلوا نوحاً بالكفر والتكذيب . وقالوا : كما فى القرآن الكريم : ﴿ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ [نوح : ٢٣] .

فى الصحيح(*) عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – فى هذه الآية ، قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا(٢) أى صوروهم على صور أولئك الصالحين وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تُعْبَدْ حتى إذا هلك أولئك ونُسِىَ العِلْمُ عُبدت » .

قال الحافظ ابن القيم – رحمه الله – : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » .

(*) راجع صحيح البخارى كتاب التفسير فى تفسير سورة ﴿ إنا أرسلنا ﴾ (١٩٩/٦) طبعة الشعب .

(٢) أنصاب : جمع نصب ، وأصله مانصب ، كغرض ونحوه ، والمراد هنا : الأصنام المصورة على صورهم ، المنصوبة فى مجالسهم .

سبب الشرك الغلو في الصالحين :

ومن هنا نعلم أن الشرك إنما حدوث في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين .

ومعنى الغلو : الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

أي لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله ، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله .

ولهذا ورد الحديث الصحيح(*) عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

أي لا تتجاوزوا الحد في مدحي ، فتنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها ، كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الألوهية .

ولكن أبى الجاهلون والمخرفون إلا مخالفة أمر رسول الله ، وارتكاب نهيه ، فناقضوه أعظم مناقضة ، وضاهوا النصارى في

(*) أخرجه البخاري .

غلوهم وشركهم ، وبنوا القباب[١] والمساجد على أضرحة الأولياء والصالحين ، وصلوا فيها - وإن كان لله - لكن بقصد التعظيم للمقبورين ، وطافوا بقبورهم ، واستغاثوا بهم في كشف الملمات وقضاء الحاجات ، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأولياء أفضل من الصلاة في المساجد .

---

(١) قلت في منظومتي « اللآلىء السنية » :

صـــــد الأكثر منهم صالحاً
ونبيـــــاً ووليـــــاً شهـــــرا
كل قطـــــر عندهـــــم معبودهـــــم
أشركـــــوه بالـــــذي قد فطـــــرا
وقبابـــــاً فوقهـــــم قد أسسوا
خالفـــــوا المختـــــار فيمـــــا حذرا
كم حديث ثابت قد وردا
قد نهى الأمـــــة مما صدرا
وأبـــــو الهيـــــاج هذاك التقـــــي
عن علي المرتضى قد أخبرا
طمس تمثـــــال وقبر مشرف
هدمـــــه يروى ، وذا قد حررا
وذوو العلـــــم بذا قد حكمـــــوا
راجـــــع الكتـــــب تجد ما سطـــــرا

وقد ورد فى الحديث عن عائشة ، عن النبى - ﷺ - قالت : « لما نُزِلَ[1] برسول الله صلى الله عليه وسلم - طفق[2] يطرح خميصة[3] له على وجهه ، فإذا اغتم[4] بها كشفها ، فقال - وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، يُحَذِّرُ ماصنعوا[1] ، ولولا ذلك أُبرِزَ قَبْرُهُ ، غير أنه خُشىَ أن يُتَّخَذَ مسجدا »[2] أخرجه

---

(١) نزل : بضم النون وكسر الزاى ، مبنى لما لم يسم فاعله ، أى نزل به ملك الموت .

(٢) طفق بكسر الفاء وفتحها ، والكسر أفصح ، كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ومعناه : جعل .

(٣) خميصة : بفتح الخاء : كساء له أعلام .

(٤) إذا اغتم بها كشفها : أى إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه .

(١) يحذر ماصنعوا : هذا من كلام عائشة رضى الله عنها .

(٢) لعنهم النبى - ﷺ - على هذا الفعل بعينه ، وهو إتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد . أى كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله ، وإن لم يسموها مساجد ، فإن الإعتبار بالمعنى لا بالإسم ، فإنها هى المساجد الملعون من بناها على قبورهم ، وإن لم يسمها من بناها مساجد . وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزاً لهم عن غيرهم .

فإذا كان - ﷺ - لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء فكيف بمن بناها على قبور غيرهم . أ هـ .

(من تيسير العزيز الحميد)

الشيخان(*) .

وجرى منهم الغلو فى الشعر والنثر ما يطول عده ، حتى جوّزوا الاستغاثة بالرسول وسائر الصالحين ، فى كل ما يستغاث فيه بالله ، ونسبوا إليه علم الغيب !! حتى قال بعض الغلاة : لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ماكان وما يكون !! ، وخالفوا صريح القرآن : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقال تعالى مخبراً عن رسوله : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

وقوله : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ

(*) الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو عوانة والنسائى ولمزيد من التفصيل فى التخريج وفقه هذا الحديث راجع كتاب « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » ص ١٢ لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى .

﴿ إلاَّ اللهُ ﴾[1] [النمل : ٦٥] .

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو فى الصالحين ، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه .

ولذا قالوا : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف : ٧٠] ، أى لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا .

أنواع العبادة وأدلتها

اعلموا أن من أنواع العبادة ـ كما سبق ـ الركوع ، والسجود ، والطواف ، والنذر ، والذبح ، والاستغاثة ، والاستعانة ، والحلف ، والتوكل ، إلى غير ذلك مما مَرّ . فدليل الركوع والسجود قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

---

(١) وهذه الآية كما ترى انفراده بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : (من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله) . وكونه ـ ﷺ ـ أخبر ببعض المغيبات فهو من الفرية وحى الله له .

ودليل الصلاة والذبح قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٢ ، ٣] .

وللحديث الصحيح : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ »[*] .

ودليل النذر والطواف[1] وقوله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

(*) رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

(١) أى لا ينذروا لغير الله ولا يطوفوا بغير البيت العتيق ، فلا يجوز النذر للأولياء ولا الصالحين ، ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلانى والحسين والبدوى والدسوقى وغيرهم ، فإن هذا شرك لا مراء فيه . وكثير من المبتدعين الجاهلين المخرفين ينذر للصالحين ، وبعضهم يرسل أموالاً من بلدان الخليج العربى لقبور الأولياء - بزعمهم - فى إيران ، للسدنة ولتعمير القباب !!

كما يفعل ذلك كثير من الهنود والباكستانيين ، ينذرهم لعبد القادر الجيلانى أموالاً طائلة ، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة ، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة .

وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين ، فإنهم ينذرون أموالاً لقبور أهل البيت فى النجف وكربلاء ، وخراسان وقم ، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور ، للطواف بها ، والاستغاثة بساكنيها ، وطلب -

= قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، مما لايقدر عليه إلا خالق الأرض والسموات .

وكما لايجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين ، فكذا لايجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم ، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء ، بل يستغفر الله ويتوب إليه . ويأتي بالشهادتين ، لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك .

ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء ، فوقفه باطل أو وصّى لها . فوصيته باطلة ، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق .

وقول بعضهم : أن النذر لله والثواب للولي ، كلام باطل وضلال عاطل ، فأى شيء أدخل الولي هنا ، إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه . وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي !! والأمور بخواتمها . فقد يكون ظاهره صديقاً وباطنه زنديقاً .

ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر ، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي ، وليس القصد من هذا إلا التلبيس وقلب الحقائق ، وهم لم يقصدوا إلا الولي .

على أن العلماء قد صرحوا : أن لا يُذْبَح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، للحديث عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل أن ينحر ابلاً ببوانه ، فسأل النبي - ﷺ - فقال : « هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا .. فقال رسول الله : « أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لايملك ابن آدم » رواه أبو داود .

ودليل الحلف ، الحديث الوارد(*) عن ابن عمر - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وفى لفظ . « فقد كفر » .

ودليل الاستعانة ، قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

والحديث الصحيح(**) عن رسول الله - ﷺ - : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » .

ودليل الخوف ، قوله تعالى : ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

ودليل التوكل ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

ودليل الرهبة ، قوله تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل : ٥١] .

(*) حديث صحيح : رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر وصححه الألبانى فى (إرواء الغليل) حديث رقم (٢٥٦١) (١٨٩/٨) .

(**) حديث صحيح : أخرجه أحمد والترمذى ، وقد صححه الألبانى فى تخريج كتاب السنة لابن أبى عاصم برقم (٣١٦ ، ٣١٨) وللحافظ ابن رجب الحنبلى شرح نفيس عليه اسمه (نور الإقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما) .

ودليل الاستغاثة ، قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَيَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وهذا خطاب للرسول ـ ﷺ ـ كما ترى أى لاتدع يامحمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لاينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا يضرّك فى دين ولا دنيا ـ يعنى بذلك الآلهة والأصنام ـ فإن فعلت : فدعوتها من دون الله ، فإنك إذاً من الظالمين ، أى المشركين بالله . والرسول ـ ﷺ ـ معصوم من الشرك ومن كبائر الذنوب(١) ، وإنما هذا تعليم للأمة .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

والمستغيث بالرسول إنما ينادى ويدعو غير الله ، كأن يستغيث قائلاً : يارسول الله أنقذنى من هذه الشدة ، أو ياعبد القادر ، أو يادسوقى ، أو يارفاعى ، أو يابدوى .. إلخ .

---

(١) قيل : ومن صغائرها أيضاً .

ولا ريب أن المستغيث بغير الله داخل فى هذه الآية وأمثالها .

وكيف يستغيث العاقل المؤمن بغير الله ، وهو يقرأ هذه الآيات أو يسمعها ؟!

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ، أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ؟ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(1) [النمل : ٦٢] .

---

(١) قال الصادى فى منظومته « هداية المريد » :

ومـــــن يقـــــل غير الإلـــــه يملك
ضراً ونفعـــــاً فهـــــو أيضاً مشرك
ومـــــن ينـــــادى ميتـــــاً أو غائبـــــاً
ويرتجيـــــه راغبـــــاً وراهبـــــاً
للدفـــــع ضر أو حصول نفـــــع
فذاك شرك عنـــــد أهـــــل الشرع
كمـــــن ينـــــادى مستغيثـــــاً بأحـــــد
أو مستعينـــــاً أو رجـــــا منـــــه الولـــــد
إذ ذاك فى العـــــادة ليس يقـــــدر
عليـــــه إلا الواحـــــد المقتـــــدر
وكل ما استحـــــال فى العـــــادات
كطلـــــب الأحيـــــاء من الأمـــــوات
فلـــــم يجز لمسلـــــم أن يفعلـــــه
وأنكـــــر الشرع على من فعلـــــه
فمـــــا لكـــــم يامعـــــشر الجهـــــال

بيّن الله فى هذه الآية ، أن المشركين من العرب ونحوهم كانوا يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده ، فذكر ذلك محتجاً عليهم فى اتخاذهم الشفعاءَ من دونه ، ولهذا قال : ﴿ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ بالاستفهام الإنكارى ، أى ليس إله مع الله يجيب المضطر ويكشف السوء .

تدعــــــــــون غير الله ذى الجلال
فى جلب نفـــع أو لدفـــع ضر
أو برء سقـــم وارتفـــاع شر
من ليس يخشـــى نفسه من ضرهـــا
ولم يطـــق إنقاذهـــا من فقرهـــا
وتستمـــدون من الأمـــوات
تيسير عسر وقضا الحاجـــــات
ألم تروا أن الدعـــا عبـــادة
لا يمتـــرى فيـــه ذوو الشهـــادة
فمـــن دعـــا غير الإلـــه أحـــدا
يمنحـــه الخير ويكفيـــه الـــردى
فإنـــه لمن دعـــاه عابـــد
سواء الجاهـــل والمعانـــد
وفى ثبـــوت النهى فى الكتـــاب
دلائـــل لمبتغـــى الصواب
يكفيـــك أن الله قال ادعـــونى
كمثـــل ما قد قال فاعبـــدونى

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي - ﷺ - منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله - ﷺ - من هذا المنافق ، فقال النبي - ﷺ - : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله »(*) .

الركوع والسجود والنذر لغير الله

فمن ركع أو سَجَدَ لِحَيٍّ أو لميت ، أو نَذَرَ لغير الله ، كأن ينذر لقبور الأولياء أو الصالحين ، أو يذبح لهم ، أو للأشجار أو للعيون .

(*) إسناده ضعيف :
لأن في إسناده ابن لهيعة وقد ساء حفظه بعد إحراق كتبه وهذا الحديث من رواية سعيد بن كثير بن عفير عنه وليس ممن روى عنه قديما .

وابن لهيعة أيضا موصوف بالتدليس وقد عنعن .

وأيضا فقد اضطرب في لفظه فقد رواه أحمد (٥/٣١٧) وفيه : « لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى » وهذا اللفظ يختلف في معناه عن الأول .

وأسناده ضعيف أيضا لأن فيه راويا لم يُسم وهو من رواية موسى بن داود عن ابن لهيعة ولم يرو عنه قديماً .
والإضطراب علة في الحديث فيزداد ضعفاً إلى ضعفه [نقلنا هذا التخريج من خط شيخنا عطاء بن عبد اللطيف حفظه الله] .

أو يطوف بقبر نبى أو ولى . كأن يطوف بقبر الرسول أو بقبر علىّ بن أبى طالب ، أو بقبر الحسين أو الحسن ، أو علىّ بن موسى الرضا ، أو عبد القادر الجيلانى ، أو البدوى ، أو الرفاعى أو غيرهم .

أو يستغيث بهم فى الشدائد ، كأن يقول : يارسول الله أنقذنى ، يارسول الله فرج عنى هذا الكرب . المدد ياعبد القادر يا جيلانى ، أو يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يطلب عافية من مرض له أو لغيره ، أو قدوم غائب ، أو يرزقه ولدا ، أو يأتى له برزق ، أو يفرج عنه شدة وكربة ، أو نحو ذلك من الأمور التى ليست فى قدرة المخلوق أن يفعلها . فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركاً بالله العظيم[1] شركاً أكبر ، لا يغفر الله له إلا أن يتوب . لقوله تعالى :

---

(١) قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منها وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر ، مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة . ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار . فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر ، أو كان كثيراً أصغر ، والأصغر القليل فى جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به . اهـ (من تيسير العزيز الحميد) .
فالشرك الأكبر ، كالسجود والنذر لغير الله ، والأصغر كالرياء والحلف بغير الله – إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله :

فتنـــــة الشرك ومـــــا من فتنـــــة
مثلهـــــا بين البرايـــــا توجـــــد

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] .

أما ما كان فى إمكان المخلوق الحى ، فلا بأس بأن تستعين به .

مثل أن تطلب منه أن يعينك فى قضاء حاجة ، أو إنقاذ من غرق أو حريق أو ما سوى ذلك .

الآيات الآمرة بعبادته
والمبينة عجز المعبودات الباطلة

هذا وقد أكثر الله فى كتابه المجيد من الآيات الآمرة بعبادته والحاثة عليها . كما قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

وقال الله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [النساء : ٣٦] .

ليس غير الله فى سلطانــــــــــــــــــه
من إلـــــــه يتقـــــــى أو يعبـــــــد
مالك الملك تعــــــــــــــــالى ماله
فى علاه من شريك يجحـــــــــــــد

للشاعر أحمد محرم .

وقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال مبيناً عجز تلك الآلهة التي عبدها المشركون من أن تجلب لهم نفعاً ، أو تدفع عنهم ضراً . بل ولا تدفع عن نفسها فضلاً عن غيرها ، فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

وقال مبيناً أن النفع والضر بيده لا بيد غيره ، بقوله : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يبكت المسيحيين ويوبخهم على عبادتهم للمسيح .

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

فانظروا كيف يتبرأ المسيح من عبّاده المسيحيين ، ويقول : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

والله يعلم أن المسيح لم يأمر بعبادته ، ولا يرضى بذلك ولكن يريد الله من هذه الآيات أن يبين للناس أن عبادة المسيح الذى هو من الأنبياء المرسلين لا تجوز . بل ويكون شِرْكاً . فكيف بعبادة غيره من الأولياء ، ومن الأشجار ، ومن الغيران والكهوف !!

ألم يسمع هؤلاء الضالون قول الله مخاطباً لسيد العالمين : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

فإذا كان الضرّ النازل بالرسول لا يستطيع أن يدفعه ، فكيف يستطيع الرسول وأولى من هو دونه أن يدفع ضرا نزل بغيره ؟!

ألم يسمع هؤلاء قول الله العظيم : ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً ، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] .

ألم ينع على اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، كما قال تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَـٰهاً وَاحِداً لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

---

(١) روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه ، عن عدى بن حاتم ، أنه سمع النبى ـ ﷺ ـ يقرأ هذه الآية ، فقلت له : أنا لسنا نعبدهم ، قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ! ويحلون ما حرم الله فتحلونه ! » فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » .

فأنت ترى أن الحديث يصرّح أن عبادة الأحبار والرهبان هى طاعتهم فى تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، وهو طاعتهم فى خلاف حكم الله ورسوله .

قال شيخ الإسلام : ما معناه مختصراً : إن هؤلاء المقلدين الذين اتخذوا الأحبار أرباباً فى تحليل ما حُرم الله . وعكسه ، يكونون على وجهين :

أحدهما : يعلمون أن الأحبار والرهبان قد بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حُرم الله وعكسه ، إتباعاً لرؤسائهم ، فهذا كفر . وقد جعله الله ورسوله شركاً ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون .

الثانى : يعتقدون تحريم الحرام وعكسه ، لكن أطاعوهم فى معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب . اهـ . ومثل هؤلاء ، المقلدون للمجتهدين ، الذين يخالفون آى القرآن ونص الحديث الصحيح الآتى بخلاف مذهبهم ، فيجمدون على المذهب ويتعصبون له بحجة أن صاحب المذهب أعلم منا والمتحذلق منهم يؤول الآية على حسب أهوائه ومذهبه ، ويرد الحديث بعلة لم يصح عند إمامنا ، أو لعل له ناسخاً أو مخصصاً لا نعلمه ، ونحو ذلك من الأعذار الواهية والشبهات الداحضة ، وأين هؤلاء من هذه الآية الشريفة ، ومن قوله تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء، قليلا-

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجهل الكثيرين به

فالواجب على كل مسلم أن يميز الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، لأنه قد أخطأ فيهما كثير من العلماء ، فضلا عن الجهلاء .

وذلك أن أولئك المخطئين فسروا كلمة (الإله) بالقادر على الاختراع ، أو الخالق ، أو المالك .

والحال أن الأمر ليس كذلك . بل الإله يطلق على كل معبود بحق أو باطل(١) ، ولهذا لمّا قال الرسول ـ ﷺ ـ لمشركى

ما تذكرون ﴾ [الأعراف : ٣] ومن قوله : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .

على أن الأئمة ـ رحمهم الله ـ لهم الفضل فى تدوين العلوم ، ومكانتهم لا تخفى ، وقد نهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم ، وليس كلامنا فى العاجز ، أو من لم يظهر له الدليل ، فإن هذا لا بأس له أن يقلد ، وإنما كلامنا فيمن حوى من العلوم ما يمكنه من فهم الآيات والأحاديث ، أو ظهر له الدليل بخلاف المذهب وإن لم يحو من العلم شيئا كثيراً ، فإن مثل هذا لا عذر له فى ترك النص والأخذ بالتقليد .

(١) هذا أصل وضعه فى اللغة ، ثم غلب على المعبود بحق .

قريش : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم »(*) .

قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ ، إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ﴾ [ص : ٥ ، ٦ ، ٧] .

وأما لفظ الجلالة ، فلا يطلق إلا على الله العظيم ، فمشركو العرب كانوا أعرف بمعنى الإله من مشركى زماننا ..

والبلية كل البلية ، والجهل كل الجهل ، أن الكثيرين ممن ينطقون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يعرفون معنى هاتين الكلمتين !! .

(*) صحيح :
قال الشيخ الألبانى فى كتابه فى الرد على البوطى ما نصه : « هذا الحديث قد أخرجه الإمام أحمد فى « المسند » (٤٩٢/٣) ، (٦٣/٤ . ٣٤١) ، (٣٧٦/٥) والبيهقى بأسانيد عن غير واحد من الصحابة ، وأحدها عند ابن اسحاق فى « السيرة » (٦٤/٢ – ٦٥) بنحوه وأحد إسنادى أحمد صحيح ، وأخرجه البيهقى أيضا كما فى « البداية » (١٣٩/٣) ، وطرفه الأول له شاهد فى « المستدرك » (٦٢٤/٢) من حديث جابر مطولاً وصححه ووافقه الذهبى » .

معنى لا إله إلا الله(١)

فلو عرفوا أن معنى (لا إله إلا الله) أى لا معبود بحق فى الوجود إلا الله .

فلا إله : نفى لجميع المعبودات الباطلة .

وإلا الله : إثبات للمعبود الحق جل جلاله .

ولو عرفوا هذا المعنى ، وعرفوا أن ما يأتون به لأوليائهم وسادتهم وقبور صالحيهم ، من الذبح أو النذر لهم ، أو التبرك بتراب قبورهم ، أو الصلاة إليهم ، أو الطواف بأضرحتهم ، أو طلب قضاء حاجة منهم ، تأليه لأولئك الصالحين . والإلهية لا تصلح إلا لله .

---

(١) شروط لا إله إلا الله السبعة :

١ ـ العلم المنافى للجهل ، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها . ومعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله . وإخلاص العبادة لله وحده .

٢ ـ اليقين المنافى للشك ، لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها .

٣ ـ الإخلاص المنافى للشرك ، فإن من لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافى الإخلاص ، كما قال تعالى : ﴿ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [الزمر : ١١] .

٤ ـ الصدق المنافى للنفاق : لأن المنافقين يقولونها ، ولكنهم لم يطابق قولهم

لعلموا أن هذا شرك أكبر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وإذ ذكرت للقارىء شروط لا إله إلا الله ـ ولا إله إلا الله وهى كلمة التقوى ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة دار السلام ـ .

مال جنابهم فصار قولهم كذباً ، لمخالفة الظاهر للباطن ، كما أخبر عنهم ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ [الفتح : ١١] .

٥ ـ القبول المنافى للرد : لأن فى الناس من يقولها مع معرفة معناها ، لكن لا يقبل ممن دعاه إليها ، إما كبراً وإما حسداً ، أو غير ذلك من الأسباب .

٦ ـ الإنقياد المنافى للترك : ويحصل الإنقياد بالعمل بما فرضه الله ، وترك ما حرّم الله ، والتزام ذلك . لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة ، كما قال الله : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [لقمان : ٢٢] .

٧ ـ المحبة المنافية لردها : فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة ، لما دلت عليه من الإخلاص المنافى للشرك ، « فمن أحب الله أحب دينه ، ومن لا فلا » اهـ (ملخصا من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله) .

نواقض الإسلام

فمن الجدير أن أذكر نواقض الإسلام ، فهاك بيانها :

الأول : الشرك فى عبادة الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] . ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى ـ ﷺ ـ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ، ولو عمل به فقد كفر .

السادس : من استهزأ بشىء من دين الرسول أو ثوابه ، أو

عقابه والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ، لاَتَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضى به كفر والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَيَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى – عليه السلام – فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله لايتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض ، بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره وكلها من أعظم مايكون خطراً وأكثر

مايكون وقوعاً . فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .(١)

معنى محمد رسول الله

ولو عرفوا أن معنى (أشهد أن محمداً رسول الله) : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ، وتأملوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقوله : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) [النور : ٦٣] .

---

(١) كتاب (مجموعة التوحيد) .

(١) أمره : أي أمر الرسول . فتنة : أي شرك أو كفر .

وقوله - ﷺ - : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[1] .

وقوله فى الحديث الشريف : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح[*] .

بيان بعض البدع[1]

لعلموا أن كثيراً من صلواتهم وأدعيتهم وأذكارهم وأحزابهم مما ابتدعه بعض الفقهاء الجامدين ، أو المتصوفة المبطلين ، أنها من

---

(١) رواه مسلم من حديث عائشة - رضى الله عنها - والمتفق عليه « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » أى مردود على صاحبه .

(*) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وأحمد وصححه الألبانى فى صحيحى « الترمذى » و« ابن ماجه » ولمزيد من التخريج راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٣٧) .

(١) البدعة : لغة : الأمر المحدث الذى لم يسبق له نظير ، لأن مادة بدع للاختراع .

وعرف علماء الفقه والحديث البدعة بتعاريف ، أحسنها وأوضحها : الأمر المحدث بعد الرسول ، بقصد التقرّب إلى الله ، فبقصد التقرب خرجت البدعة الدنيوية كإحداث البارود والقهوة والمناعل والسيارات والطائرات وما أشبه ذلك . وتقسيم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وقبيحة ، تقسيم باطل لا مستند له من الشرع .

والتقسيم الصحيح أنها قسمان : دينية ودنيوية ، وقد عرفتهما مما سبق، وكيف لتقسيمهم إلى حسن وقبيحة أصل وهو ينافى القران والحديث . وإليك البيان على وجه الاختصار :

١ ـ أما القرآن ، فقد قال الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] فما انتقل الرسول من الدنيا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى الزيادة .

ونضيف إلى ذلك : أن التشريع من حق رب العالمين ، وليس من حق البشر ، ولئن جازت الزيادة فى الدين ، جاز النقص ، ولا قائل بذلك :

بدين المسلمين ، إن جاز زيد
فجاز النقص أيضاً أن يكونا
كفى ذا القول قبحاً باطلاً
ولا يرضاه إلا الجاهلونا

وأما الحديث : ففى الصحيح : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » ولفظ كل للعموم . ولا يخرج فرد من الأفراد المبتدعة إلا بمخصص ، فأين المخصص هنا ، حتى يقال : هذه بدعة حسنة وخرجت من حيز العموم . فإن كان المخصص حديث « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » .

فالجواب : أولا : إن هذا ليس بحديث عن النبى ـ ﷺ ـ بل من كلام ابن مسعود .

وثانيا : إن (ال) فى كلمة المسلمون ، إن كان للاستغراق ، أى كل المسلمين فإجماع ، والإجماع حجة ولا كلام فيه . وإن كان للجنس فيستحسن بعض المسلمين هذا الأمر ويستقبحه البعض الآخر ، كما هو الواقع فى أكثر البدع وعليه فقد سقط الاحتجاج بهذا الأثر .

البدع والضلالات التى ماأنزل الله بها من سلطان ، مثل الذكر بالإسم المفرد : (الله الله ، أو ياهو ياهو) .

ومثل حلق المريدين (إجتماعهم فى حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة .

وكصلاة الرغائب[1] ومثل حزب البحر وأمثاله ، وابتهالات وصلوات ومناجاة وإنشاد قصائد فى مدح النبى - ﷺ - فوق المنائر قبل الفجر وفى ليلة الجمعة ويومها ، وبعض صيغ صلوات على الرسول لم ترد السنة بها .

مثل قولهم : اللهم صل على محمد عدد مافى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .

وكقولهم : اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

لأن الصلاة على الرسول من أجلّ القربات ، كيف لا وقد أمرنا الله بها فى كتابه المجيد ، بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) من أشنع البدع وأقبحها بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين ، أو أن المأمومين لايحسنون القراءة .. فإن هذه البدعة الضالة تجر إلى الكفر ، إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض وإلى البدعة والضلال ، إن اعتقد أنها سنة .

والصيغ الواردة فى الصلاة على الرسول مدونة فى كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع فى صيغها .

لأن الصلاة عليه - ﷺ - عبادة ، والعبادة مبنية على التوقيف .

من صيغ الصلاة على الرسول

ومن الصيغ الواردة للصلاة عليه - ﷺ - ما رواه مسلم عن ابن نمير ، عن روح بن عبادة (*) وعبد الله بن نافع الصائغ ، أنهم قالوا : يارسول الله : كيف نصلى عليك ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : « قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » . وكما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى ، قال : « قلنا : يارسول الله ، هذا السلام عليك عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على

(*) روح بن عبادة وعبد الله بن نافع شيخا شيخ مسلم وليس بصحابيان كما يوهمه المؤلف والحديث عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه . أخرجه مسلم (٤/١٢٧) بشرح النووى .

إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم » .

شبهة للقبوريين وردها

وإنما قلنا : يجب على المسلم أن يميز الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، لأن الموحد إذا أنكر عليهم ما يأتون من أفانين العبادات ، وأنواع التضرعات لتلك القبور ، وقال لهم : إن عملكم هذا شرك ، غضبوا وقالوا : كيف تصفنا بالشرك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت وبيده النفع والضر ، وإليه المرجع والمصير ؟ وغاية الأمر أننا نجعل هؤلاء الأنبياء أو الصلحاء شفعاء يشفعون لنا عند الله ، لأننا ملطخون بأنجاس الذنوب ، ليس لنا قدر حتى نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا ، أو يقضى حاجاتنا ، أو يدفع ضرنا ، فنستشفع بهؤلاء ونجعلهم وسطاء بيننا وبين الله ، لما نعلم ما لهم من الجاه والمنزلة بمثابة الوزير عند الملك .

حيث إن إفراد الرعية لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملك إذا حل بهم ظلم أو كارثة . فيتوسلون بالوزير أو المقرب ، ليشفع لهم عند الملك أو السلطان ، أو الوزير ليقضى الملك حوائجهم أو يدفع عنهم الظلم .

فنقول لهؤلاء الجهلاء فى الجواب :

أولاً : إن عقيدتكم هي عقيدة المشركين بذاتها .

قال الله إخباراً عن المشركين السالفين : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُم ، وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال الله في آية أخرى إخباراً عنهم : ﴿ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] .

فاعتقاد أولئك المشركين بأن الله خالقهم ورازقهم .. إلخ لم ينفعهم ، ولم يحقن دماءهم . لأنهم عبدوا الأصنام ليقربوهم إلى الله ، وليشفعوا لهم .

لم يعبدوها لأنها خالقة ورازقة ، ومدبرة للأمور(١) .

ولا يخفى هذا على أحد قرأ القرآن وتدبّره .

---

(١) إذ لا يتصور عاقل عرف حال المشركين ، وما أوتوا من فهم وعقل أن ينحتوا أصناماً بأيديهم ويعتقدوا أنها خالقة ورازقة ومدبرة ، ولا يوجد عاقل يعتقد ذلك ، لا في الوثنيين السالفين ، ولا الحاضرين ، ولكن عبدوها على أنها صور قوم صالحين ، وتقربوا إليها بالعبادات لكي تشفع لهم عند الله ، كما نطق القرآن بذلك .

تشبيه الخالق بالمخلوق

وثانياً : إن هؤلاء الجهلاء ، قد شبهوا الرب العظيم ، بالملك البشرى .

قد شبهوا رب العالمين بالسلطان المخلوق من ماءٍ مهين .

قد شبهوا أعدل العادلين وأرحم الراحمين ، بالملك المخلوق الذى قد يكون من أظلم الظالمين .

قد شبهوا الله بالمخلوق وتوسلوا إليه بالشفعاء والأنداد ، فجمعوا بين الشرك والتشبيه ، ولم يعلموا أنه لا يقاس الإله بالمخلوق ولا الرب المالك بالمملوك .

وبيان ذلك على وجه الاختصار ، أن الملك البشرى قد لا يعلم بالظلم الواقع على ذلك المتوسل بالوزير ، أو يعلم أن الظلم الواقع من أحد أبنائه أو عشيرته ، ممن يجاملهم ولا يريد أن يجرح عواطفهم أو أن الظلم صدر منه على ذلك .

فأنى يقاس الخالق بالمخلوق ؟!

فهل الله لا يعلم بالظلم الواقع على هذا العبد ؟ أو لا يعلم بحاجته ، أو بالضر الذى مسّه ؟! وهو القائل : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

وهل الله يصدر منه الظلم لأحد ؟!

أو له أقرباء ينزلون ظلمهم بأحد من العباد ؟!

وهل لله وزير أو مُعين أو ظهير ؟! حتى يتوسل إليه العباد ليشفع لهم عند الله ذلك الوزير أو المعين أو الظهير ؟

فما أفسد هذا القياس وأخبثه ، وما أجهل هؤلاء وأكفرهم بالله .

لا واسطة بين الخالق والمخلوق إلا فى تبليغ الشرائع

وأى حاجة إلى واسطة والله يقول : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

ويقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والواسطة للتبليغ هم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

أما الواسطة فى رفع ضر أو جلب نفع ، فتلك عقيدة المشركين .

كيف تكون واسطة بين العبد وربه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] [غافر : ٦٠] .

---

(١) داخرين : صاغرين .

لم يقل الله : ادعوا أوليائى ، أو ادعوا أنبيائى ، أو استغيثوا بأحبائى والصالحين من عبادى .

بل قال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وفى الحديث الشريف : « من لم يسأل الله يغضب عليه »(*) .

كما ورد فى الحديث : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة »(**) .

ولم يقل الرسول ـ ﷺ ـ ادعوا الأنبياء حتى يطلبوا من الله لكم ، أو توسلوا بالأنبياء والصالحين .

عدم ثبوت التوسل عن النبى وأصحابه

ولذا لم يثبت التوسل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت

(*) حديث حسن : أخرجه الترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيحى الترمذى وابن ماجه وهو مخرج فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٥٤) .

(**) حديث حسن : أخرجه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٧٦٦) وفصل تخريجه فى السلسلة الصحيحة (٥٩٤) .

عن الصحابة بالرسول - ﷺ - ولم يثبت عن التابعين ، ولا عن الأئمة المعتبرين .

التوسل قسمان : مشروع وممنوع .
أما المشروع فهو قسمان أيضا :

القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله ، وبالأعمال الصالحة .

ولم يقع فى هذا خلاف بين العلماء ، سواء كان فى حياة الرسول أو بعد موته .

القسم الثانى : من المشروع : التوسل بدعائه - ﷺ - يوم كان حياً ، بأن يأتى السائل فيسأل الرسول - ﷺ - أن يطلب له من الله العافية .

كما طلب الأعرابى من الرسول أن يستسقى لهم(*) .

وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو له برد بصره - إن صح حديث الأعمى(١) .

(*) أخرجه البخارى ومسلم
(١) لم يصح حديث الأعمى(**) ، وهو حديث عثمان بن حنيف . قال فى (صيانة

(**) حديث صحيح : أخرجه الترمذى وابن ماجه والنسائى وأحمد وصححه ابن تيمية فى « قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة » ص ١٤٤ طبعة السلفية وصححه الألبانى فى كتابه « التوسل أنواعه وأحكامه » فليراجع فإنه فصّل فيه الكلام عن هذا الحديث ووجه الإستدلال منه على التوسل المشروع .

وكما طلبت الجارية السوداء ـ التى كانت تُصرع ـ أن يعافيها الله ، فخيّرها الرسول بين الصبر وبين أن يدعو لها ، فاختارت الصبر ، وسألت أن يدعو الله ألا تتكشف عندما يأتيها الصرع(*) .

وهذا التوسل الذى هو بدعائه قد انقطع بموته ـ ﷺ ـ فلا يجوز لمسلم أن يأتى قبر رسول الله ، ويسأله حاجة أو غفران ذنب ، أو كَشْفِ ضُرٍ .

والدليل على ذلك : أن فى خلافة عمر بن الخطاب ، إنقطع المطر وأراد عمر أن يستسقى ، وطلب من العباس بن عبد المطلب أن يدعو لهم بالاستسقاء ، فقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك

الإنسان) هو غير ثابت ، لأن فى سنده أبا جعفر الرازى ، وهو سيىء الحفظ ، يهم كثيراً ، فلا يحتج بما ينفرد به . اهـ . وعلى فرض صحته ، فإنه توسل بدعائه ـ ﷺ ـ لأن فى الحديث عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى النبى ، فقال : ياننبى الله ادع الله أن يعافينى . قال : « إن شئت أخرت ذلك فهو خير لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك » قال : لا ، بل ادع الله لى ، فأمره أن يتوضأ وأن يصلى ركعتين ، وأن يدعو بالدعاء المذكور فى الحديث . فالحديث نص فى التوسل بدعائه ـ ﷺ ـ والتوسل بدعاء الرسول ونحوه فى الحياة جائز لا خلاف فيه . وليس فى هذا الحديث : أسألك بحق محمد ، أو بجاه محمد ، حتى يصح استدلالهم .

(*) أخرجه البخارى ومسلم .

بعم نبينا ، ثم قال : قم ياعباس فادع الله لنا » رواه البخارى .

فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً ، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب ، وهذا من الوضوح بمكان لا يخفى ، إلا على من أعماه التعصب والعناد ، وسلك سبيل أهل الضلال والفساد .

ولزيادة الإيضاح والبيان ، نورد لكم بعض أدعية الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

فهذا أبونا آدم ، لمّا اقترف الخطيئة قال :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

فلم يتوسل أبونا آدم بمحمد ، كما زعم الزاعمون ، وأوردوه حديثاً عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لَمَا غَفَرْتَ لى فقال الله : ياآدم وكيف عرفت محمدا ، ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ، ونَفَخْتَ لى من رُوحِكَ رَفَعْتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فَعَلِمْتُ أنك لن تُضِيفَ إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك » .

فقال الله : صَدقْتَ يا آدمُ ، إنه لأَحَبُّ الخلقِ إلى ، ادْعُنِى بحقه ، فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتُك » رواه الحاكم فى مستدركه(*) .

وقد أجاب أهل العلم : أن الحاكم متساهل فى تصحيح الأحاديث ، حتى اتهمه بعضهم بسوء العقيدة .

فقد قال الذهبى فى تعليقه على المستدرك ، فى خصوص هذا الحديث : إنه حديث موضوع ، فلا حجة فى موضوع ، بل ولا فى ضعيف .

أدعية الرسل

وإذ سمعتم دعاء آدم ـ عليه السلام ـ فاسمعوا دعاء نوح ، كما أخبر الله عنه : ﴿ رَبِّ اغْفِرلى ولِوالِدَى ولِمَن دخلَ بَيْتى مُؤْمناً وللمُؤمنينَ والمُؤْمنَاتِ ولا تَزِد الظَالِمينَ إلاّ تَباراً ﴾ [نوح : ٢٨]

(*) حديث موضوع : أخرجه الحاكم فى المستدرك وأفاض ابن تيمية فى كتابه « قاعدة جليلة » ص ٩١ فى الإنكار على الحاكم فى تصحيحه هذا الحديث وقال : « وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث » ولمزيد من التفصيل راجع السلسلة الضعيفة للشيخ الألبانى حديث رقم (٢٥) .

وقال الله عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١][1] .

وقال الله مخبراً عن أيوب : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وعن يونس ، لمّا التقمه الحوت : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وعن زكريا : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠] .

وعن يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

---

(١) دعاء إبراهيم لوالده ، قبل أن يتبين له أنه عدو الله ، كما أخبر الله عنه « فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم » .

وأدعية الرسول - ﷺ - كثيرة مبثوثة فى كتب السنة ، وفى كتب الأذكار ، ومنها :

« اللهم إنى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى وبدنى .. » إلى آخر الدعاء ..(*) .

ومنها دعاء سيد الاستغفار المشهور(**) .

ومنها دعاء : « اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا ، فاستجب لنا كما وعدتنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحولُ به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتِك ماتُبلِّغُنا به جَنَّتَكَ ، ومن اليقين ماتُهَوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ماأحييتنا ، واجعله الوارث منا .. إلخ »(***) .

فهل يستطيع أحد من هؤلاء أن يأتى بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين ، أو الأنبياء والمرسلين ، فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره .

(*) حديث صحيح : أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وصححه الألبانى فى « صحيح ابن ماجه » وتخريج « الكلم الطيب » حديث رقم (٢٧) .

(**) أخرجه البخارى ونص الدعاء هو « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عَبْدُك ، وأنا على عَهدِك ووعْدِك ما استطعتُ ، أعوذُ بك من شر ماصنعتُ ، أبوءُ لك بنعمتِك على وأبوءُ بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنت » .

(***) حديث حسن : أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه الألبانى فى « الكلم الطيب » وفى صحيح الترمذى رقم (٢٧٨٣) .

فإن الاستغاثة بغير الله شرك لاريب فيها . وأما التوسل فهو بدعة ، لا كفر .

ومن الأدلة الدَّالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة ، ما جاء فى الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة(١) ، فتوسل أحدهم ببر والديه ، والثانى توسل بعفته من الزنا بعد أن جلس من المرأة مجلس الرجال من النساء . والثالث توسل بتنمية أجر الأجير ، بعد أن ذهب وترك أجرته ، ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أجرته فردها عليه فإذا هى مال كثير .

إحتجاجهم بآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

والجواب عنها : أن الوسيلة هنا معناها : التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، أو بأسمائه وصفاته ، كما بينا فى التوسل المشروع ، لا كما يقول المبتدعون ، أن نجعل الأنبياء والصالحين شفعاء ووسطاء . ويقولون إنها من الوسائل المأمور بها ، ويفسرون الآية بها .

أو يزعمون أن الشفاعة ثابتة لرسول الله ـ ﷺ ـ ونحن نسأله ، لأن الله قد منحه إياها .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

إثبات الشفاعة للرسول

فالجواب : لاريب أن للرسول ـ ﷺ ـ شفاعات متعددة أعظمها : الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم ، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله ـ ﷺ ـ

وله شفاعة أخرى فى إخراج بعض من دخل النار من الموحدين ، وأخرى فى رفع درجات المؤمنين فى الجنة .

ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له ، لا يسوغ للمسلم إتكالا على هذه الشفاعة أن يسأل رسول الله فى الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه ، كأن يقول : يامحمد اشفع لى ، يامحمد اغفر لى ذنبى ، أدركنى ، أستجير بك ممن ظلمنى ، أو أسألك يامحمد الشفاعة ، فإن ذلك كله لايجوز .

بل يقول : اللهم ارزقنى شفاعة محمد ، اللهم شفع لى محمداً ، أو يقول : اللهم لاتحرمنى من شفاعة محمد .

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطباً لرسوله ـ ﷺ ـ إشفع لى ، أو أغثنى ، أو أستجير بك . فأولى أن لايجوز بغيره من الأولياء والصالحين . ولا يغتر بقول بعض الشعراء .

يا أكرم الخلق مالى من ألوذُ به
سواك عند حلول الحادثِ العمم

فإن هذا الكلام شرك وضلال ، ولكن الله أعلم بقائله ، هل مات على هذا أو تاب .

يقول : مالى من ألوذ به ، ونقول له :

لُذْ بالإلـــــهِ ولا تلُـــــذْ بسواهُ
من لاذَ بالمِلكِ الجليــــلِ كَفَـــاهُ

حجج المبتدعة فى جواز التوسل والاستغاثة

وقد كثر فى كلام بعض الشعراء من الاستغاثات ، والنداءات لرسول الله - ﷺ - ولغيره(١) ، كما كثر فى كلام المتأخرين من

---

(١) كما قال بعضهم :

وحـــل عقـــدة قلبـــى يامحمـــد من
هم على خطـــرات القـــلب مطـــرد
أرجـــوك فى سكـــرات الموت تشهـــدنى
كيمـــا يهون إذا الأنفـــاس فى صعـــد

وقال بعضهم :

ياسيـــدى ياصفـــى الديـــن ياسنـــدى
ياعمـــدتى بل ويا ذخـــرى ومفتخـــرى

التوسلات والاستغاثات ، وتجويزهم لهما بشبه واهية ، ليس عليها شبهة الصواب ، فضلاً عن الحجة والدليل .

١ ـ مثل احتجاجهم على التوسل بحديث آدم السابق ذكره .

٢ ـ وبحديث : « **اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا** »(*) .

٣ ـ وبحديث فاطمة بنت أسد(**) ، الذى رواه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك ، قال : « لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب ـ وكانت قد ربت النبى ـ ﷺ ـ فجلس عند رأسها وقال : (رحمك الله ياأمى بعد أمى) إلى أن قال لما أدخلها فى اللحد : (اغفر لأمى فاطمة بنت

=أنت الملاذ لما أخشى ضرورتـــــه
وأنت لى ملجـــأ من حادث الدهـــر

فانظر إلى هذا الغلو الشنيع من هذين الشاعرين ، اللذين نسيا أن المرتجى والملاذ للعبد هو الله . كما فى الآيات المارة ، والقرآن مملوء بالآيات التى تصرح أن الله هو الذى بيده النفع والضر ، وأنه إليه المرجع والمصير .

(*) ضعيف : أخرجه ابن ماجة وأحمد وضعفه المنذرى والألبانى فى السلسلة الضعيفة (٣٤/١) حديث رقم ٢٤ .

(**) ضعيف : أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٣٢/١) حديث رقم ٢٣ .

أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ، فإنك أرحم الراحمين) .

٤ ـ ومثل احتجاجهم على جواز الاستغاثة ، بقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

٥ ـ وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [النساء : ٦٤] .

٦ ـ وبمثل قولهم : لا فرق بين الأحياء والأموات ، فإذا جاز التوسل بالنبى حياً ، جاز به ميتاً لأنه حى فى قبره ، وهكذا سائر الأنبياء ، لأن الأنبياء أعلى مقاماً من الشهداء ، والشهداء قد قال الله فيهم : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

٧ ـ وبما يروونه من حديث : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » .

٨ ـ وحديث : « توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم » ، إلى غير ذلك من الاحتجاجات الواهية السمجة الباردة ، التى تستوجب الضحك عليهم والرثاء لحالهم .

الرد(١) على حجج المبتدعين وتفنيدها

وإلى القارىء الجواب عن تلك الشبه ، فنقول : أولا : ليعلم القارى أن التوسل بدعة ليس بكفر ، وإنما الكفر هو الاستغاثة برسول الله أو بغيره ، كما مر غير مرة .

وثانيا : ليس فى التوسل بالأموات حديث صحيح أو حسن وكل مايوردونه إما ضعيف أو موضوع .

١ ـ فأما حديث الإحتجاج بتوسل آدم ، فقد سبق الجواب عنه .

---

(١) وبقيت لهم شبهة وهى : أنهم قالوا للموحدين : إنكم تعمدون إلى الآيات التى نزلت فى الأصنام وعابديها ، فتنزلونها على المسلمين اللذين يتوسلون بالصالحين ، ويستغيثون بالمرسلين ، ويأتون بكل شرائع الدين ، فتجعلون المرسلين والصالحين فى سلك الأصنام والأوثان ، والمتوسلين فى سلك عبدتها .

فالجواب : أولا : صرح العلماء أن العبرة ، بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثانيا : إن المشركين السالفين والكافرين الغابرين ، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى وعزير ، ومنهم من كان يعبد الصالحين ؛ كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر . فكفرهم الله جميعاً ، وأخبر عن كفرهم . وكلمة (دون الله) فى مثل قوله : ﴿ ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ﴾ وكلمة : ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ ، تشمل كل معبود غير الله ، ولو كان نبياً أو ملكاً ، وقد رأيتم أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار والرهبان فى

٢ ـ وأما حديث : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين » فإنه ضعيف . قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية وهو العوفى والفضيل ابن مرزوق ، والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاء .

وعلى تسليم أنهم اختلفوا فى الفضيل بن مرزوق فضعفه ابن حبان والنسائى وأبو حاتم ، ووثقه ابن معين .

قال ابن حبان فيه : يروى عن عطية العوفى الموضوعات وهو فى هذا الحديث عن عطية العوفى .

فإن الجرح مقدم على التعديل ، على أننا لو سلمنا بصحة الحديث ، فإنا لا نسلم أن حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو إجابة الله ، وإعطاءهم سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى . فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

٣ ـ والجواب عن حديث فاطمة بنت أسد أنه ضعيف أيضا ، فإنه فيه روح بن صالح المصرى وهو ضعيف . وعلى فرض تسليم صحته ، فحق الأنبياء غير مخلوق كما قدمنا فى حديث : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين » .

= تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، فضلا عن السجود لغير الله والنذر له ، والطواف به .

بل إنه صفة من صفات الله تعالى ، وهو نصرته للأنبياء ، وإرضاؤهم وإعلاؤهم على أعدائهم .

٤ ـ وأما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى فى قصة موسى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

فما أسمجه من استدلال وما أبرده !! لأنها استغاثة حى بحى فيما يقدر عليه ، وليس فى هذا خلاف . على أن فعل الرجل الإسرائيلى ليس بحجة ، وإجابة موسى له وتقريره عليه ليس بحجة ، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه .

وسكوت الأنبياء قبل بعثتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه . وبعد ذلك كله ليس هو فى شريعتنا .

٥ ـ وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ [النساء : ٦٤] . فالجواب : أن غايتها تعليق غفران ذنوبهم على مجيئهم إليه ـ ﷺ ـ واستغفارهم الله ، واستغفار الرسول لهم . وأنهم لِيموا على ترك ذلك ، وليس فيها أنهم طلبوه ولا أُمرو أن يطلبوه .

وثانيا : أن الآية معلقة ذلك على إتيانه ـ ﷺ ـ وإتيانه غير متأت بعد موته ، إذ لا يمكن إلا إتيان قبره ، ومن أتى القبر لا يقال أنه أتى صاحب القبر ، إلا على سبيل التسامح والتجوّز .

ثالثا : هى واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها

وقعت فى حياته - ﷺ - فمن أين أخذوا التعميم فى الحياة والممات ؟

ولو دلت على العموم فى الحياة والممات لكانت مخصصة ومقصورة على الحياة ، ودليل التخصيص الأخبار الشرعية الدالة : أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ، وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وفى الحديث الذى رواه مسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به » .

ولأن الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها للموت ، ولذا لم يدعوه - ﷺ - ولم يأت إلينا أنهم دعوه بعد الموت ، كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء فى حياته ﷺ .

حديث القليب

تعلق القبوريون المبتدعون بحديث القليب ، أن الموتى يسمعون ، لأن النبى - ﷺ - أجاب عمر : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم »(*) وبحديث : « وإنه ليسمع الآن قرع نعالهم إذ أتاه

(*) أخرجه البخارى .

الملكان ».(**) فاحتجوا على سماع الأموات بهذين الحديثين ، وإذا كانوا يسمعون فيجيبون الداعين لهم والمستغيثين بهم فيقضون حوائجهم ، وينال المستغيث بغيته والطالب منهم ضالته وقصده ، كما استدلوا بذينك الحديثين على ندب قراءة الأحياء على قبور الموتى .

والجواب : أن حديث القليب وقع معجزة لرسول الله ـ ﷺ ـ وخوارق العادات لايقاس عليها ، فكيف والله يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلاَ الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وأما الحديث الثانى ، فالجواب : أنه مقيد بتلك الساعة التى سيأتيه الملكان ، وليس سماعه فى كل وقت ، وإذا أردت هذا البحث لتروى غليلك وتشفى عليلك فارجع إلى (رسالة الآيات البيّنات فى عدم سماع الأموات للعلامة الألوسى رحمه الله) .

٦ ـ وأما قولهم : لافرق بين الأحياء والأموات فى جواز التوسل والاستغاثة ، وماثبت لأحد المثلين ثبت للآخر ، وقد ثبتت حياة الأنبياء فى قبورهم ، لأنهم أعلى مقاماً من الشهداء ، فجازت الاستغاثة والتوسل بهم وبالشهداء والأولياء .

فالجواب : أن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحاً لأن القرآن

يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ، وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِى الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

ويقول : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ، وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢] .

فسبحان الله الذى أعمى بصائر هؤلاء القبوريين الدجاجلة المضلين حتى سوّوا بين الأحياء والميتين ! .

بل قالوا : إن الأرواح بعد مفارقة الأجسام ، باقية وتتصرف التصرف التام ! .

فعلى عقولهم العفاءُ والدمار ، فما أجهل هؤلاء وما أكفرهم . فلو كانوا أحياء كما زعم هؤلاء لما جاز دفنهم ، وتقسيم أموالهم ، وتزوج نسائهم . بالنسبة لغير الرسول ﷺ .

وإنا نرى الميت يهان ويوطأ ، وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه ، أتراه رضى لها الهوان ؟! ولا أظن أن سمع الناس أبطل من هذا الكلام ، وأفسد من هذا القياس .

٧ ـ وقولهم : إن الأرواح تتصرف بعد مفارقة الأجسام لأنها حيّة ، فكلام باطل .

وأى تصرف لها ؟ وهل يلزم من حياتها أن تكون قادرة مجيبة للمستغيثين والسائلين ؟.

ولو جاز لنا أن نستغيث بهؤلاء لأنهم أحياء ، جاز لنا أن نستغيث بالملائكة الذين لاخلاف فى حياتهم ، وبالحور والولدان ، وبأرواح الكفار ، وبالجان لأنهم أحياءٌ . سبحانك هذا بهتان عظيم ! لايقول هذا إلا من سفه نفسه ، وتجرد من عقله . اللهم اهدهم إلى صراط الحق ، والطريق المستقيم .

٨ ـ وأما حديث : « إذا أعيتكم الأمور » فإنه مكذوب ومن وضع الزنادقة الذين قصدوا إفساد الدين .

٩ ـ وحديث : « توسلوا بجاهى » موضوع(*) لم يختلف فى وضعه إثنان .

ولا ريب عند المسلمين جميعهم ، أن لرسول الله ـ ﷺ ـ جاهاً عظيماً ومقاماً محموداً ، وأنه أفضل الورى وخاتم الأنبياء والمرسلين .

(*) قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى « قاعدة جليلة » (وهذا الحديث كذب ليس فى شىء من كتب المسلمين التى يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث) .

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به ، وإن كان الأنبياء أحياءاً فى قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ، لأن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا[1] .

---

(١) وحيث أن كثيرا من ذوى البدع والضلال والدعاة إلى عبادة الأموات من الأنبياء والصالحين ، يشاغبون فى حياة الأنبياء والشهداء ، ويزعمون أن حياتهم كالحياة الدنيوية يأكلون ويشربون وينكحون كسائر أهل الدنيا . وبناءاً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم فى الشدائد والملمات . بل وندبوا إلى ذلك وضللوا من ينهى عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركاً برب العالمين .
ونحن نقول : أنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كنهها إلا الله . فلذا يجدر بى أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء فى هذا الموضوع ، ونكتفى بأربعة من كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم . وإلى القارىء بيان ذلك :

قال العلامة ابن جرير فى تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

يعنى الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ، يقول الله : ولا تحسبنهم يامحمد أمواتا لا يحسون شيئا ، ولا يتلذذون ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندى متنعمون فى رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى وحبوتهم من جزيل ثوابى وعطائى .. ، ثم ساق أحاديث وآثاراً نحواً من عشرين حديثاً وأثراً ، منها عن مسروق بن الأجدع ، قال . سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ الآية . قال : إما أنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصاب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله إليهم إطلاعة ، فيقول : يا عبادى ما تشتهون

فأزيدكم فيقولون : ربنا لا فوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا . ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى » تفسير ابن جرير – طبعة دار المعارف .

وقال الحافظ بن كثير فى تفسير الآية :

يخبر الله تعالى عن الشهداء ، بأنهم وإن قتلوا فى هذه الدار ، فأرواحهم حية مرزوقة فى دار القرار .

ثم أورد ابن كثير ، كثيراً مما أورده ابن جرير ، ومنها أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله : لما أُصيب إخوانكم يوم أُحد ، جعل أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش » الحديث جـ ٢ ابن كثير – طبعة الأندلس بيروت .

وقال العلامة ابن الجوزى فى تفسير قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لاتشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

ذكر سبب النزول أنها فى شهداء أُحد ، ثم قال : « أى لا تقولوا هم أموات ، لا تصل أرواحهم إلى الجنان ، ولا تنال من تحف الله مالاينالهُ الأحياء ، بل هم أحياء أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ، فهم أحياء من هذه الناحية وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح . ولما استشعر اعتراضاً بأن جميع المؤمنين منعمون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء ! أجاب : إن الشهداء فُضّلوا على غيرهم بأنهم مرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها ، وغيرهم منعم بما دون ذلك . اهـ .

(من زاد المسير – جـ ١ فى سورة البقرة ص ١٦٠ – طبعة المكتب الإسلامى) .

وقال العلامة القاسمي في تفسيره ، نقلاً عن البيضاوي وحواشيه : « إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية ، ونفي الشعور بها ، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان ، لأنها بصحة البنية واعتدال المزاج ، وإنما هي أمر يدرك بالوحي لا بالعقل » اهـ . (من « محاسن التأويل » جـ ٢ ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

تأمل كلام ابن جرير قوله : « إنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي » .

وكلام ابن الجوزي : « فهم أحياء من هذه الناحية ـ أي من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر ـ وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح » .

وكلام ابن كثير إذ يقول : « إنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار » .

وكلام البيضاوي : « إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان » .

فإذا أحطت علماً بذلك تبين لك أن ما ذهب إليه أهل التخريف ـ إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون ـ اعتقاد فاسد يأباه كل ذي عقل سليم ، فضلاً عمن تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة .

وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ولكن لاتشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

وفي سورة آل عمران : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] كاف في بطلان ما ذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية ، على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل .

- وقيل : إن المراد بالموت والحياة ، الضلال والهدى ، أى لا تقولوا هم أموات فى الدنيا ، ضالون عن الصراط المستقيم ، بل هم أحياء بالطاعة ، قائمون بأصنافها ، وقيل غير ذلك[1] .

ولكن خير تفسير لحياتهم مافسروه رسول الله - ﷺ - كما سبق فى الحديثين السابقين . وكما سبق فى كلام المفسرين .

والخلاصة : أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه . ولكل دار حكم ، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية . فإذا جاز لنا أن نسأل الرسول فى حياته الدعاء ، أو يسأل لنا الغفران ، فلا يجوز لنا بعد موته أن نسأله ما كنا نسأله فى الحياة الدنيوية .

قال الشيخ أحمد أحمد بن محمد بن عوض العبادى اليمنى ، فى منظومته « هداية المريد » :

والشهـــــداء وأنبيـــــاء الله
فإنهم أحيـــاء عنـــد الله
ومـــا لهم حكـــم الحيـــاة عندنـــا
لكـــونهم قد فارقـــوا دار الفنـــا
ومـــن يقـــل حيـــاتهم لا تنقطـــع
فذاك كذاب مريـــد مبتـــدع

(١) ولو ذهبنا ننقل كلام المفسرين فى هذا الموضوع لصار يتطلب مجلداً ضخماً ونحن قصدنا الإيجاز ، وفيما نقلناه كفاية ، ويتبين به أن ما ذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال .

ولا تعطى أحكامها ، فإذا جاز أن نسأله ـ ﷺ ـ فى حياته الدعاء ، بأن يطلب لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب ، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياساً على حياته الدنيوية .

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التى تنادى بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف ، أو قدرة فى دفع ضر ، أو جلب نفع ، سواءً أكان نبياً أم غيره ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَداً قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ [الجن : ٢١ ، ٢٢] .

وقوله : ﴿ قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ

فيــــه كذب القـــــرآن(١) والـــــرسولا
وخلـــــــف المعقــــــول والمنقـــــولا

(١) ويشير إلى الآية : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] .
وقوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

اللهُ ، وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاستَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ . إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

إلى غير ذلك من الآيات التى فيها الخطاب للرسول ـ ﷺ ـ مبيناً أن الذى بيده النفع والضر هو الله وحده لاغير ، وأن المعبودات من دون الله لاتغنى شيئاً ، وأن الرسول ـ ﷺ ـ مع أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عن غيره .

وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال لما نزلت آية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

(يابنى كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يابنى عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يافاطمة بنت محمد ، أنقذى نفسك من النار . فإنى لاأملك لكم من الله شيئاً)

وفى رواية : (يامعشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، فإنى لاأُغنى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبد المطلب ، لاأُغنى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب لاأُغنى عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله لاأُغنى عنك من الله شيئاً ،

يا فاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئت ، لا أُغني عنك من الله شيئا)(*) .

وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ، أي نخُصُّك بالعبادة ولا نعبد سواك ، ونستعين بك في أمور الدنيا والدين ، ولا نستعين بأحد غيرك .

وحديث :(**) « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله »(١) .

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ، شروح الأجلاء المعتبرين .

لعلموا أن توسلاتهم بالرسول ، أو بالأنبياء والصالحين ليس لها أصل في الدين ..

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري ومسلم .

(**) حديث صحيح : أخرجه الترمذي بسنده عن ابن عباس وقال : حسن صحيح والمزيد من التخريج يراجع كتاب « السنة لابن أبي عاصم » تحقيق الشيخ الألباني وقد سبق تخريج هذا الحديث .

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس ، الذي أوله : (قال : كنت خلف النبي يوماً . فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك .. إلخ) . وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

وأن الاستعانة بهم من الشرك والكفر المبين .

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً أن ماأخبر الله به فى كتابه ، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى ، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته ، هى كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه . فمن تلك الصفات :

صفة الحياة له ـ جلا جلاله ـ كما قال : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلٰـه إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وصفة العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

وصفة الإرادة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

والقدرة ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيراً ﴾ [الفتح : ٢١] .

والسمع والبصر ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء : ١٣٤] .

والكلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

والرحمة ، لقوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] .

وصفة الحب ، لقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

واليدين ، لقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

والوجه ، لقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

والاستواءُ على العرش ، لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فى سبع آيات من القرآن .

والنزول ، للحديث الصحيح : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فينادى : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه »(*) .

(*) أخرجه البخارى ومسلم .

إلى غير ذلك من الصفات التى لا نستطيع حصرها فى عشرين صفة ، وحصرها فى عشرين من مبتدعات الخلف . بل ولا حصرها فى أكثر من عشرين ، وإنما الواجب الإيمان بكل ماورد فى الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله وأسمائه . إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل .

والقول الشامل فى هذا الباب ، أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لا يتجاوز القرآن والحديث .

فمذهب السلف حق بين باطلين ، بين باطل التمثيل وباطل التعطيل .

فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إله الأرض والسماء[1] .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

---

(١) ورحم الله ابن القيم ، حيث قال :

من شبه الله العظيم بخلقه
فهو الشبيه لمشرك نصرانى
أو عطل الرحمن عن أوصافه
فهو الكفور وليس ذا إيمان

فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ، وردّ على المشبه .

وآخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر ، في قوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] ورد على المعطلة .

فالسلف الصالح لايمثلون صفات الله بصفات خلقه . كما لايمثلون ذاته بذات خلقه .

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات . فكلما أن ذاته المقدسة لاتشبه ذوات المخلوقين ، فصفاته لاتشبه صفات المخلوقين .

فإذا قلنا : لله علم وللمخلوق علم ، كما قال في كتابه المجيد : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١]، وقال : ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

وقال عن نبيه يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] .

فلا شك أن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما السلام .

ووصف نفسه بالرأفة والرحمة . فقال : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] . وقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

وقال فى حق الرسول ـ ﷺ ـ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُم ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق ، ولا رأفته كرأفة المخلوق .

ووصف نفسه بالسمع والبصر ، فى غير ما آية من كتابه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٨] . وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال فى حق المخلوق : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [الإنسان : ٢] .

ونحن لا نشك أن ما فى القرآن حق .

فلله سمع وبصر حقيقتان لائقتان لجلاله وكماله . كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقتين مناسبتين لحاله ، من فقره وفنائه .

وبين سمع وبصر الخالق ، وسمع وبصر المخلوق ، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

ووصف نفسه بالحياة فقال : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وقال : ﴿ هُوَ الحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

ووصف بعض المخلوقين بالحياة ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً ﴾ [مريم : ١٥] .

فليست حياة الخالق كحياة المخلوق .

وقال : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

وقال فى حق المخلوق : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤] .

فليس استواؤه كاستواء السفينة على الجودى .

والحاصل أننا لا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نؤول صفات الله الواردة فى الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين : إن اليد بمعنى النعمة ، والإستواء بمعنى الاستيلاء(١) . والوجه بمعنى

---

(١) احتجوا على ذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

الذات . والرحمة بمعنى التفضل ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته ، أو ملائكته .

وما أشبه ذلك من التأويلات الفاسدة ، النابعة من منابع الفلاسفة الضالين .

تلك التأويلات التى تؤول بالإنسان إلى الكفر ، وتجعل الشريعة ألعوبة بأيدى المبطلين والهدامين ، بحيث إنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكماً شرعياً ، إلا وقد أتى من باب التأويل . وكفى بهذا قبحاً وضلالاً .

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله بما أتى فى القرآن والأحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ، مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة المعتبرين ، كالإمام أبى حنيفة ، والإمام الشافعى ،

= والجواب : أن هذا البيت أولا مصنوع لايحتج به . وثانيا : إن قالوا : استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق ، فهذا هو التشبيه بعينه .

وإن قالوا : استيلاء الله يخصه على ما يليق به ، واستيلاء بشر كذلك ، فهلا أبقوا اللفظ القرآنى ، وقالوا : استواءاً يليق بجلاله ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين .

انظر بحث الاستواء فى « العلو » للذهبى ، وفى « الجيوش الإسلامية » لابن القيم ، وفى كتابى « العقائد السلفية » . فقد أتيت فى بحث الاستواء بما لامزيد بعده ، ونقدت شبههم العقلية والنقلية والحمد لله على ذلك .

والإمام مالك ، والإمام أحمد بن حنبل ، والبخارى ومسلم ، والترمذى وأبى داود ، والثورى ، وابن عيينه ، وغيرهم من المحدثين والفقهاء المعتبرين ، والصوفية المحققين ، كالجنيد والجيلانى وأبى نعيم واللغويين المحققين ، كالخليل بن أحمد ، وثعلب وغيرهما .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، نسأل الله أن ينفعنا وينفع إخواننا المسلمين بهذه الرسالة ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

الفهرس

الموضوع — الصفحة